الدكتور محمود السمرة
يتحدث لـ« فيلادلفيا الثقافية »

حاوره: زياد أبو لبن *

الأستاذ الدكتور محمود السمرة، أكاديمي مرموق، وناقد بارز. أسهم إلى جانب ثلّة من الروّاد، في الارتقاء بمستوي التعليم والثقافة في الأردن. ولد في الطنطورة بفلسطين عام ١٩٢٣، حصل على دكتوراه الفلسفة من قسم الدراسات العربية في معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن عام ١٩٥٨، وعمل نائباً لرئيس تحرير مجلة العربي خلال الفترة ١٩٥٨- ١٩٦٤، ثم التحق بالجامعة الأردنية وظل يتدرج فيها حتى أصبح رئيساً لها منذ عام ١٩٨٩ وحتى ١٩٩١. في عام ١٩٩١ أصبح وزيراً للثقافة وظل في هذا المنصب حتى عام ١٩٩٣. وهو الآن رئيس جامعة البنات الأردنية ورئيس مجلس أمنائها. يحمل العديد من الأوسمة الرفيعة، وقد ترأس رابطة الكتاب الأردنيين خلال الفترة ١٩٨١ - ١٩٨٢، علاوة على تمتعه بعضوية أكثر من مجمع لغوي عربي. ألّف وترجم وحقق العديد من الكتب، أبرزها : مقالات في النقد الأدبي ، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، أدباء الجيل الغاضب، في النقد الأدبي، عشيات وادي اليابس/ تحقيق، القصة السيكولوجية / ترجمة، ارنست همنغواي/ ترجمة.

النقد تجاوز للقانون باستمرار

*- هل نظريات النقد التي بين أيدينا الآن صالحة لكل زمان؟

نظريات النقد هي في أحسن حالاتها نظريات، أي وجهات نظو تقيد دارس الأدب، إنها توسع من زاوية رؤيته للعمل الأدبي. على أن نتذكر أن الأحكام الأدبية ليست ذوقاً فقط، بل هي أحكام معللة فيها نكهة العلم، وهذه النظريات هي التي عرفت بمناهج النقد الأدبي. وأقصى ما يطمح إليه الناقد الأدبي أن يشير فينا شعوراً باليقين بأن ما يقوله صحيح، وبهذا يتمايز النقاد، فأكثرهم إقناعاً لنا هو أكثرهم نجاحاً كناقد. على أن من يكتب في النقد لا يكون ناقداً إلا بعد أن يكون له رأي نقدي خاص به. وهناك فرق بين البرهان النقدي والبرهان الرياضي، فإذا كان البرهان الرياضي قطعياً، فإن البرهان النقدي لا يكون علماً أبداً. ذلك لأن النقد تالٍ للعمل الأدبي والعمل الأدبي في تطور مستمر، وهذا التطور يؤدي دوماً إلى نشوء نظريات نقدية جديدة، أي أن النقد تجاوز للقانون باستمرار، وقواعده لا نهاية لها. ومثال ذلك أن بيكيت كتب مسرحية "بانتظار جودو" خرج فيها على كل قواعد المسرحية المعروفة، ولأنها نجحت نجاحاً باهراً أخذ النقاد يبحثون عن سر نجاحها. وبهذا نشأت عندنا قواعد جديدة للمسرحية. ، حدث مثل هذا في كل الفنون، ذلك لأن لكل جيل أدبه الخاص به والمعبر عنه، كما له موسيقاه، وملابسه، ومأكله .. الخ. ومعنى هذا أنه لا يوجد هناك نقد نهائياً، فالنقد دوماً معاصر.

الفن غايته تقييم الوجود

*- شاعر الأردن عرار، ذائع الصيت في الأردن، ولا يكاد يعرفه أحد في الخارج. فما السر في هذا؟

شعر عرار محلي، مغرق في محليته: محلي في موضوعاته، وإشاراته،

* ناقد من الأردن- سكرتير تحرير مجلة أفكار.

وكثير من تعبيراته. وما لم يستقل القارئ هذه كلها تمثلاً واضحاً، فإن تجاوبه مع هذا الشعر يبقى محدوداً. وقد بذل المرحوم الأستاذ محمود المطلق جهداً طيباً في شرح عدد من شعر عرار ليتيح لمن لم يتيسر لهم الاطلاع على أعماله الكاملة أن يتذوقوا بعض شعره.

٢- شعر عرار بسيط في مضمونه وشكله، يقترب كثيراً من كلام الناس الذين هو منهم: عاش بينهم، يشاركهم أفراحهم وأحلامهم وآمالهم، ويأسى لأحزانهم، وتدمي آلامهم.

والسر في قوة تأثير شعر عرار في النفوس أنه شعر يعبر عن تجربة محلية وانسانية معاً .. تجربة عميقة، فيها قدر طاغ من حدة الإحساس. هو يعبر عن هذه التجربة بألفاظ مشحونة بهذا الإحساس. وحالة الإنفعال الحاد، حالة تميز الشعر الجيد عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، وهي حالة تصاحب الشاعر في أثناء عملية الإبداع الفني. ذلك لأن الشاعر الحق إنسان يتمتع بحساسية غير عادية، تجعله يتعاطف مع أحداث الحياة الإنسانية بدرجة عالية.

واللغة التي يستعملها عرار، رغم محليتها ... ورغم بعض الأخطاء اللغوية والعروضية، حافلة بالحياة، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع، قد نمر بها دون أن نحس بها، وإذا أحسسنا بها، فقد يكون هذا إحساساً عابراً. ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية، تنبه العقل، والنفس، والأعصاب.

ومن الخطأ أن نعدّ شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الأردن زمنه، ذلك لأننا نعرف أن الشعر ذاتي، والشعراء يعبرون عن أحاسيسهم، وانفعالاتهم الخاصة. ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها، وإن كنا نستعين بها في حدود ضيقة. وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر: فالصدق الفني هو غاية الشاعر، أما البحث عن الحقيقة فغاية العالم.

إن الشاعر لا يعرض لنا الحقائق عرضاً موضوعياً كما توجد في الواقع، بل يحورها بفضل ملكة الخيال التي وهبها، ويكوّن منها كُلاً فنياً موحداً. ومنذ أن كان في الدنيا شعر، كان قدر الشاعر أن يرى ويرصد المظاهر المختلفة لهذا الكل المعقد الذي نسميه الحياة الإنسانية، ثم يعبر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال.

وسواء قلنا بعد قراءة الشعر إننا نوافق الكاتب في رأيه، أم لا نوافقه لأن الحياة في واقعها ليست كما يراها، فإن قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر إلى الحياة من زوايا جديدة، وتضيف إلى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة، قد تكون أعمق وأنضج، حتى إننا لنحس، عندما نطوي آخر صفحة، أننا ازددنا معرفة بالحياة والإنسان.

وأنت في شعر عرار تدخل في دائرة التأثير، وتبقى فيها إلى أن تصل إلى نهاية القصيدة، ذلك لأن شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء الكبار، الذين يجمعون أحياناً بين الرائع والردي، في القصيدة الواحدة، ويجمعون بين صورتين متناقرتين في بيتين متتاليين.

وإذا كان النقاد الذين يسيطرون على دنيا الأدب في أيامنا هذه في الغرب، من مثل هذا الشعر؛ إنهم يرون أن القصيدة الجيدة مكتفية بذاتها، لا تحتاج للكشف عن أسرار الجمال فيها إلى أن تعرف مناسبتها وظروفها، ولا حتى من نظمها. وفي رأيي أن هذا القول صحيح، ولكن في حدود. وأنا لست من المؤمنين إيماناً مطلقاً بما يقولون، ومن المؤمنين بالمنهج التكاملي الذي يرى الاستفادة من كل النظريات النقدية، لأنها متكاملة، غير متناقضة. والإختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤية.

٣- شعر عرار شعر ملتزم:

وقد كان عرار شاعراً ملتزماً، بكل ما في هذا المصطلح من دلالة وأبعاد. وكانت مواقفه واضحة جريئة: فقد وقف إلى جانب الفقراء، والمعوزين، وهاجم المستغلين، ودعا إلى المساواة، ونادى بالعدالة.

وهذا موقف سيبقى عراراً مذكوراً دوماً كشاعر صاحب رسالة، أجاد التعبير عنها في شعره.

وهذا يجعلنا نقف أمام قضية مهمة في الفن: فنحن كلما تناقشنا في الفن عامة، وفي الشعر خاصة (وسأقصر حديثي هنا على الشعر)، تساءلنا: ما غاية الشعر؟

يرى البعض أن غاية الشعر هي المتعة، وأن القصيدة الجيدة هي التي تولد أكبر قدر منها. وفي رأيي أن المتعة نتيجة، لا غاية، وأن غاية الشعر عرض التجربة الإنسانية عرضاً يرسخ في نفوسنا قيماً ومواقف. وإذا كانت غاية العلم تفسير الوجود، فإن غاية الفن تقييم الوجود. وهذا ما فعله عرار في شعره.

وهذا ما عناه كولردج في كتابه القيم «سيرة أدبية» Biographia Literaria عندما قال: إن الشعر ليس مجرد إنفعالات وأحاسيس، فأرخص أنواع الأدب قادر على إثارتها. إنه رؤيا، وكشف عن أسرار الوجود ورغم التزام عرار العميق الحاد، فإنه كان في الوقت نفسه رومانسياً، مغرقاً في رومانسيته. وإذا كان الرومانسيون الغربيون قد عبروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة عن ثورتهم، وهربوا إلى الطبيعة والحياة البسيطة، عندما أدركوا عجزهم عن التغيير، فقد فعل عرار مثلهم: هرب إلى مضارب النور، وإلى حياة الريف، حيث البساطة، وراحة البال، والمساواة التامة:

الكلُّ زطٌّ مساواةٌ محققةٌ تنفي الفوارق بين الجار والجار

٣- شعر عرار شعر للرمز فيه دور كبير:

والحديث عن الرمز في شعر عرار حديث قد يطول، ولهذا سأقصر حديثي

عنده على ثلاثة جوانب بارزة:

أولها: شخصية الهبر: وهي شخصية حقيقية، ورمزية، في آن واحد.

إنه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الإنسان البسيط، المنبوذ، المضطهد، والإنسان المشرد الضائع.

وهو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيه الإنسان الذي فقد كل إحساس بالكرامة.

ويبدو الرمز عند عرار، ثانياً- في شخصية الشيخ عبود النجار.

وهي شخصية تناقض الشخصية الأولى تماماً: فهي رمز لفئة متزمتة منتفعة، فقهها: "في الجنة الخلود"، ومبدأها أنها: "حصة من في جيبه نقود". وسخريته منها، ورفضه لها، لأنها بسلوكها تساهم في إبقاء الشعب على حاله من الجهل والتخلف.

ويبدو الرمز عند عرار، ثالثاً، في كل امرأة تغزل بها، وكل قرية ذكرها، وكل واد تغنى به. إنها كلها رموز لهذا الوطن، الذي أحب كل من فيه، وما فيه.

٤- شعر عرار شعر عمودي، منظوم على أوزان الخليل، ما عدا قصيدتين هما:

"متى"؟ و "ياحلوة النظرة".

ومن الخطأ الشائع ما نردده من أن كل قصيدة نظمت على وزن من أوزان الخليل فهي قصيدة عمودية، مع أن الوزن (أو البحر) ليس سوى شرط واحد من سبعة شروط حددها النقاد العرب القدامى، وجعلوها المبادئ، التي يجب أن يقتفيها الشعراء.

وكان الموزوقي خير من حدد مفهوم عمود الشعر، وذلك في مقدمته لشرح ديوان الحماسة، في قوله: "إنهم (القدماء) كانوا يحاولون: شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة أقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها عيار (أي مقياس)"

وجاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف "عيار الشعر"

وشعر عرار عمودي بهذا المفهوم للشعر العمودي الجيد ولو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيراً من الشعر الذي يعرف بأنه عمودي، ليس عمودياً.

عرار كان شاعراً ملتزماً، بكل ما في الإلتزام من معنى

* - الرواية في الأردن: كيف تطورت من حسني فريز إلى يومنا هذا؟

لحسني فريز نشاط في كتابة القصة، ولعل هذا النشاط يأتي الأول بين كتاباته النثرية. وقصصه القصيرة موزعة في عدد من كتبه.

أما قصصه الطويلة فهي خمس قصص:

١ - مغامرت ثائبة.

٢ - حب من القيحا.

٣ - زهرة الزيزفون.

٤ - العطر والتراب.

٥ - جنة الحب.

وفي كل قصة، هي في الواقع حكاية، شخصية تتحدث باسم المؤلف في شؤون الثقافة، والتربية، والمجتمع، والسياسة، والخيانة الزوجية، والأمراض الاجتماعية: كالجبن، والوصولية، والنفاق الإجتماعي. لقد استخدم المؤلف أسلوب الترجمة الذاتية، ولكنه لم يوفق في كتابة رواية ناجحة. إن حكاياته مجموعة من المقالات، كتبت للكشف عن عيوب المجتمع. وليس فيها تحليل للشخصيات، فقد رسمها رسماً مسطحاً.

أما الرواية الأردنية المعاصرة فقد دخلت مرحلة التجريب، مثل روايات مؤنس الرزاز: أحياء في البحر الميت، ومتاهة الأعراب في ناطحات السحاب، وإعترافات كاتم صوت ... الخ وروايات إبراهيم نصر الله: براري الحمى، وعو، ومجرد ٢ فقط ... وأسهم في رواية التجريب إلياس فركوح، وأمين شنار، وتيسير سبول، وسالم النحاس، ورمضان الرواشدة، وسليمان الطراونة.

ولي كلمة في بعض روايات التجريب وهي أننا إذا حاولنا تلخيصها، وما يحدث فيها، أفلتت من يدنا. وبعض هذه الروايات تكاد تكون الفصول المشكلة للرواية مستقلة.

وليس التجريب عندي في الشكل فقط، كأن نستعمل تيار الوعي مثلاً، أو الرمز، أو الأسطورة، ولا هي في الموضوع فقط. إنه فيهما معاً. ولابد من أن يكون الموضوع مما يستحق أن يقال وأن يكون كاتبه على وعي عميق بالمشكلة.

الحذلقة وتضخيم الذات معالم واضحة في النقد الحديث

* - ما رأيك في الإتجاهات النقدية الحديثة؟ هل ألقت ضوءاً جديداً على النص؟

أنا أرى أن النقاشات النقدية الحديثة التي ظهرت في الثلاثين سنة الماضية، ليس فيها اتفاق على رأي جامع. ولم نشهد خلال هذه المدة ظهور موقف نقدي قادر على أن يقنع بحجته الكثرة الكاثرة من النقاد. فالمواقف النقدية الجديدة التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة، هي في حقيقتها تخمينية. وأزيد على هذا فأقول إن كتابات النقاد اليوم تتسم بعدم وضوح ما يريدون أن يقولوه: عدم وضوحه لأنفسهم، قبل عدم وضوحه للقراء.

فكأن هذا النقد الحديث قد فقد فن الكتابة. وهو إذا قارناه بالنقد القديم لجده يفتقر إلى ما فيه من سلاسة ووضوح.

أدب وفن ونقد

- حوارية / شعر	فـــدوى طوقـــان
- فراقية للاجنين السياسيين في مفاهي أوروبا / شعر.	ســـميح القـــاسم
- لا أثق بطائر الوقواق / شعر.	عـــز الدين المناصـــرة
- دوافع التجربة الشعرية عند مصطفى وهبي التل / دراسة.	د. غـــسان عـــبد الخـــالق
- نحو نظرية عربية حديثة للنقد الأدبي / دراسة.	د. جـــعـــفـــر دك البـــاب
- قراءة في رثائية أبي ذؤيب الهذلي / دراسة.	د. حـــســـن علـيـــان
- أدب الفتات الهامشية في العصر العباسي / دراسة.	أحـــمـــد الحـــسين
- العقد والمنديل / قصة.	فـــخـــري قـــعـــوار
- البحث عن زيزيا / قصة.	جـــمـــال أبو حـــمـــدان
- الطريق / قصة.	هند أبو الشـــعـــر
- قفص من فضاء / قصة.	عـــبـــد عـــون الروضـــان
- شرفات / قصة.	ربـــيـــحـــة ريحـــان
- في المسألة التشكيلية / دراسة.	مـــحـــمـــد العـــامـــري
- إعادة محاكمة شايلوك / مشهد مسرحي.	مـــحـــمـــود البنا

جامعة فيلادلفيا
PHILADELPHIA UNIVERSITY

فدوى طوقان

حوارية

مهداة إلى الصديق الشاعر محمد سليمان معد ومقدم برنامج (في رياض الشعر) في إذاعة لندن:

دعاني إليه
هو البحر، فاضَ، علا مدّهُ
موجةٌ إثر موجة
تباعدتُ، شدّ ذراعي إليه
يا بحر كلاّ!
أخافك يا بحر، مزقت الريح كلّ قلوعي
ومركب عمري على المنحدر
تراجعُ إلى ماوراء الوراء يا بحر
فات أوان انتساعك
أنا اللازمانُ، أنا اللاأوانُ
أنا الأبدُ السرمدي واللانهاية
أنا الماء خضرُ الصحارى
تمدّ يديها إليّ الصحارى
تغمغم لي بصلاة المطر
أباركها وأسوق إليها السحائب
تومض فيها سيوفُ البروق
يزمجر فيها هزيم الرعود
ويهطل يهطل ماء السماء
فتخضر فيها الرمال ويورق حتى الحجر
أخافك يا بحر

أنا محور الأرض سرُّ التوازن
سرُّ التناغم في الكون سرُّ الحياة
أخافك يا بحرُ، ماؤك ملحٌ وموتٌ
وأنت النقيضان، أنت البهاء الثراء الهناءُ
والنشوةُ المشتهاة
وأنت التوتر أنت التمزق أنت اختلاط العقول
وأنت الصراع وأنت الضياع واللاأمنُ
وأنت القوي وأنت العتيّ القاهر المستبد
أخافك يا بحر، عد للوراء لأقصى وراء الوراء
أنا مبدع المعجزات
أوشي نسيج الوجود بدر الحارات
بمرجان قلبي، لونه يمزج العقيق باللازورد
أنا الماء وردة روحك عطشى
أنا الماء محيي الموات
وأدخل في جسد الماء، ياقوةَ الجذب أنت
لبيك لبيك
أحبك، حذني إليك يا سيد الأرض
خذني إليك!!

١٩٩٦/١١/١١م

سميح القاسم

فُراقيّة للاجئين السياسيّن في مقاهي أوروبا

لغةُ بيت آبائها وطنٌ تدّعي وطناً غيره، بيتُ آبائه لغةٌ غيرها.
لغةٌ تدّعي وطناً
تدّعي وطناً ليس يقرأ فيها سوى الإنحناء لدى
صيغة الأمر "أعط - وائمرْ لنا!" نحن أسياد
ماويّة الأرض والطقس نأمر باسم الحديد
وننقش بالنار أسماءنا في جلود المواليد جئنا
بنور الزمان الجديد، لتبصرنا في مراياك نحن
الحضارة، نحنُ القصاصُ ونحن الخلاصْ
فلتكن إن تكنْ كيفما يشتهيك الرصاصْ!؟

* * * *

لغةٌ تدّعي وطناً ليس يُتقنُ لكنتها الأجنبية، لا
يستسيغ رطانة ضبّاطها، لا يطيق بنادقها
واقتحام عساكرها منزلاً وادعاً، لا مناص إذن من
دم ساخن ساخط، لا مناصْ
لغةٌ تدّعي وطناً... وطنٌ يرفضُ... أمّةٌ تنهضُ
وسرابا انتباه جراحاتها أعينٌ في الظلام الحضاريّ لا
تغمضُ
وعلى كلّ باب تُدلّي يد الرُّعب أنشوطةً، ولكل فم
قفلٌ طاغية، والحصار حصاران، للحاجز
العسكريّ إتجاهان لليأس موتان، للموت وجهان، والوطن
المستباحْ
واحدٌ وجهُهُ، أحدّ. كان لا بدّ من خطوة للورا،
عنقاً صاعداً من كهوف الظلام إلى قمم تستميل الصباحْ
كان لابدّ من خطوةٍ للورا،ْ
ريثما تتآخى الجهات نسيجاً يليقُ بمجد اللوا،
كان لا بدّ من هجرة الرُّسُل الأوفياءْ
ليعدّوا لهم ما استطاعوا..
ولا بدّ أن يعبروا
والزحام شديد على الجسر، والطقسُ مضطربٌ
وهدير المياه ثقيلٌ بصمت الضحايا، ولا بدّ أن
يعبروا، حولهمْ للغزاة عيونٌ، ومن خلفهم
مخبرون يدسّون مزقة قمصانهم لكلاب الأثرْ
حولهم خطرٌ دائمٌ داهمٌ من خطرْ
وعليهم عبورُ البلاد إلى ملجأ وعليهم تلافي
الضباب ونبضِ الحذرْ
كان لا بدّ أن يعبروا بوصايا قياداتهم وضراعات
زوجاتهم كان أطفالهم نائمين، انحنوا فوق
أعناقهم كبحوا لفْحَ قُبلتهم، وتحاشت مواجعُهم
سبباً للبكاء، إذن لن يطيلوا النظرْ
في وجوه الصغار النيامْ
لن يطيلوا السلامْ
آن أن يتقنوا هرباً ناجعاً، لجموا حزنهم بالوقار
الرسوليّ والتشموا بالصلاةِ وكوفيةٍ من قماش الظلامْ

ومضوا في مجاهيل هجرتهم، تحت إبط الدليل
مصائرهم، إنما رحمةُ الله والليل واسعةٌ.
والمنافي مهيأة ومقاهي أوروبا القديمة جاهزةٌ
يعودوا على صهوات الظَّفَرْ
أو تكون الشهادات ميعادَهم بعد نأي المزار ولأي السَّفَرْ
عبروا حالمين بأبوابهم. لاثبين بباب القدَرْ
حبرُ غربتهم بين أجفانهم، في مقاهي أوروبا
القديمة حلَّتْ عليهم نبوءاتهم، حرثوا ورقاً
ناصعاً وأهالوا بذار الجنون كلاماً يرتبُهُ الحزنُ
والخوفُ حرفاً فحرفاً، بكوا لأصابعهم، حولهم
لغةٌ لا يجيدونها وذهول النوادل، أسعفهم بين
حين وحين صديقٌ جديدٌ تغرَّبَ للتوّ. كانت
تحاصرهُ الشرطة الأجنبيةُ في بيته، غير أن
عجوزاً من الحيِّ شقَّتْ له باب سرٍّ، على زمنِ
الترك كان ملاذ أبيه إذا طوّق الجند منزلَهم
ليسوقوا الغلام الفراريَّ للحرب، كيفَ تركتَ البلادْ؟
كيف صبرُ الأهالي بوجه الجرادْ؟
هل رأيت الجماعة قبل خروجك؟ أمّي المريضة
تقتلها غربتي وأبي رجلٌ.. صابرٌ، غير أن هموم العيالْ
يا رفيقي تهدُّ الجبالْ
يا رفيقي وغائلةُ الجوع ذلٌّ وحكم الأجانب داءٌ عضالْ
إيه، لا بأس يا صاحبي، دمُنا جسرُنا بين حالٍ وحالْ!

* * * *

في مقاهي أوروبا التقوا.. طالباً جامعياً من القاهرة
ومُدرِّسةً لاحقتْها عيون الجواسيس في القدس والناصرة
وخطيباً من الشام طاردهُ الأجنبيُّ، ورسّامةً
حرموها نخيل العراق، وعامل غزلٍ وشغّيل
صُلبٍ من المغرب العربيّ الكبير وليبيةً ثائرةً
وأديباً تعلَّمَ من أرز لبنان ما قالت اللغةُ النافرةُ وخليجيةً
شاعرهْ
سخطنا. آخ لا بدَّ من نارنا الطاهره!
واشتهوا قهوة الهالِ والجمرِ من حطب السنديان
اشتهوا صيحة الـ " يا هلا!" . فرحوا بمكاتيب
أحبابهم وبكوا حالمين بعودتهم في التوابيت أو مُشرعين لمجد
السمواتِ والأرض راياتهم،
جمعوا حزنهم، إنما اقتسموا الأرغفهْ
أتقنوا كل لهْجاتهم مثلما أتقنوا لهجة الأرصفة
وعلى حُرقة الذكريات وأشواقهم للديار التي لم
تكن في الهوى مسعفَهْ
باركوا ليلهم بالمواويل عن حُبِّ قيسٍ وليلى، وعن غربةِ
العاشقِ المجحفة..

* * * *

أيها الليلُ، لا تردع الهائمين على وجههم دونَ
وجه، ويا أيها الليلُ دعهم يعيدوا كما يشتهونَ
مواويلهم.
حسبُهم أنهم تركوا في البلاد تفاصيلَهم
حسبُهم أنهم ههُنا لا هُنا، حسبهُم أنهم يشبهون
ملامحهم في المرايا، يوازونَ أشخاصَهم، إنما
تركوا في البلاد تفاصيلَهم، واستعاروا قناعاً لوجه الرحيلْ
واستعاروا الخُطا، واستعاروا السبيلْ
والعزاءُ الكثيرُ وراءَ العزاءِ القليلْ
أنَّ قلب الدليلْ
لا يزالُ الدليلْ
من مقاهي أوروبا إلى منزلٍ في الصعيد إلى

منزل في الحجاز إلى منزل في الجليلْ
حسبُهم أنهم كلما لعبتْ قربهم طفلةٌ. ذكروا طفلةً
في البلاد المُيتّمة النائيهْ
كلما ضوّأتْ شرفةٌ في المنافي استثارتْ لواعجهم
شرفةً في منازلهم باكيهْ
كلما مسّ أهدابهم طائرٌ في المساء القصيّ
استعادوا عصافيرَ بستانهم وحواكير جيرانهم
واستعادوا أساطير حيّهم الدامية
كلما فتّحتْ في حدائق غربتهم وردةٌ فتّحتْ بين أضلاعهم
ندبةُ الطعنة الغافيهْ
كلما ابتسمت لهم امرأةٌ ضحكتْ في مدامعهم ساقيهْ
من كروم الغرام العصيّ السخيّ بأدمُعه الدانيهْ

* * * *

لم يغبْ عن هواجسهم وطنٌ ملءَ أعباده ضاحكٌ،
تحت أصفاده عابسُ
ومدى عُرسُ خضرته شجرٌ يابسُ
لم يغبْ فرحٌ باشتعال الشرايين في سجن طاغية
قلبُهُ سجنُهُ الدامسُ
لم يغبْ عن هواجسهم فرحٌ خطفتْ لونَهُ دمعةٌ حين
قيلَ لهم إن بعض الرفاق ارتشوا ووشوا
أسفوا لانكسار طفولاتهم، أسفوا لمقاعدهم في
زمانِ الدراسة، للحلم بالوطنِ الحرّ. رانَ على العيش
والملح ما يشبه الموتَ واختبلَ الهاجسُ
واستعانوا ببعض الجنون الحكيم فلم يسقطوا..
لم يغب عنهُمُ فرحٌ بائسُ
لم تغب دمعةٌ ليس من ملحهم ملحُها اليائسُ

* * * *

ليلةٌ تنشهى النهارَ، نهارٌ يتوقُ لليلته، وقتُهم غير
ما تعرفُ الوقتَ ساعاتُ هجرتهم، تتخطّى
الدقائقُ أعوامهم، والثواني فصولٌ، وللحرّ
والبردِ حمّى وغيبوبةٌ، أيها الليلُ يا ليلُ يا عينُ
سَبِّلْ رموش الغريب على حُلْمِ هادي، أرهقتْهُ
الكوابيس، ياليلُ يا عينُ والدارُ نائيةٌ والمناديلُ
نازفةٌ والتآسّي قصيٌّ قصيّ
وبكاءُ الغريبِ عزاءٌ عصيّ

* * * *

كان لا بدّ أن يعبروا مرةً.. عبروا مرّتينْ
واستراحتْ توابيتُهم ، واستراحتْ بيارقُهم
تاركين لنا ألف دَيْنٍ ودَيْنْ
وأنا طفلُ راياتهم، وأنا نجلُ غاياتهم.. وأنا بينَ
بينْ
وأنا ماثلٌ دونَ أبوابك المُترَفَهْ
يا مقاهي أوروبا انظري، هل ترين على قسماتي
اغترابُ رجالي القدامى؟ انظري هل ترينَ
الحنينَ القديمَ إلى وطنِ المحن المُسرفَهْ؟

* * * *

لك شكري الجزيلُ، احتفيتِ بثوارِ أهلي، وغيظي الجزيلُ
احتفيتِ بمن رتّبوا فيك قتلي، وصاغوا دعايتك المكلفهْ..
يا مقاهي أوروبا انظري يا أوروبا اذكُري
عبروا جسرَهم.. حاولي الآن أن تعبري
حاولي أن تبوحي بسرّ خطاياك: عادوا من الموت
بالموت.
عادوا من الذكريات التي لم تمتْ فاذكريهمْ..
وعادوا فقومي إذن كفّري
عن خطاياك، قومي إذن كفّري
اعبروا... اعبروا... اعبروا..
آن أن تعبري
كفّري
واعبُري يا أوروبا اعبُري..

عز الدين المناصرة

لا أثقُ بطائر الوقواق

مهداة إلى الصديق الشاعر المصري الراحل أمل دنقل

لا تَوقَعْ يا أبي
أوّلُ المقطع هنديٌّ سماويٌّ يُصلّي للمطر
أوّلُ الحبر كلام
آخرُ المقطع ترويجُ السموم
آخرُ الحبر دموعٌ وانتقام
لا تقُلْ هذي خرابيشُ وَرَق
إنّها مِفصَلَةٌ...
من خشب الزيتون واليُسْر وأعواد الكروم
فوق نَطْعٍ راتنيٍّ مثل الشَّفَق
لا تُوقِعْ صَكَّ موتي
آخر المقطع تقسيمٌ لصوتي
لا توقّع يا أبي
هذا المدى فُرْسٌ وروم
منذ أن كنتُ رضيعاً في الخلاء
هذه الأرضُ بساتيني وعلّيقي
إجاصي وشاري ونجومي والغيوم
ثَمّ أجراسُ حنين النوق في حقل الرُّعاة
ربّما من وَلَهِ العاشق نصطادُ الأغاني
كي نداوي بَحّةَ الصمت المقيم
أو نعرّي سطح هذي الروح
في غربتها الزرقاء أثناء الصلاة
كي نتادينا إذا شاءَتْ تراويد الشفاه

فلماذا طائر الوقواق مفتوناً يغنّي
فوق أجساد الشظايا المطمئنة؟!!
يا أبي صاروا صدى
ليس له طبلٌ ورَنّة
طائر الوقواق يحتلُّ تراباً من ذَهَب
وأنا صرتُ أناشيدَ لمرمار
نقوشاً فوق كَفَّيْن وتطريزاً
على صدر الدُجنّة
طائر الوقواق لصٌّ في النهار
يسرق التفاح من أرواحنا، ثَمّ الهواء
يا حليب اللوز في دارتنا
عِمْتَ مَسا
عندما يذكرني العابرُ يزداد نحيباً وأسى
لا توقّعْ يا أبي صَكَّ النهايات...
سَيَحتَجُّ العنبْ
لا تَوقّعْ يا أبي
قد يزعل التاريخ في كهف الرقيم
لا تُوقّعْ، إنّها أرضُ تميمٍ ونعيمْ

* * *

قال في وصف الطريق
أيّها النورسُ خُذْني للسماء
أيّها الملح الذي صار بلون القار...